جامعة حضرموت
نيابة الدراسات العليا

ISSN : 2707 - 86655
EISSN : 2707 - 8663

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكَمة نصف سنوية

تصدرها كلية التربية ـ المهرة

- كتاب التبيان بما يتعلق بمعيار الميزان للعلامة شهاب الدين الطنبداوي الزبيدي (٥٩٤٨)
- لغة عُمان في القرآن وأثرها في معنى الآية
- أَبنيةُ الْفِعْلِ الْماضي الْمُجرّدِ في ديوانِ مدينةِ الغد لِعبد اللّه الْبردّوني دِراسَةٌ جماليّةٌ صَرفيّةٌ
- المفارقة السردية في روايات غازي القصيبي مقاربة سيميائية
- صـــراع الهُويات في الرواية العمانية المعاصرة (رواية سجين الزرقة أنموذجا)
- الأنساق الثقافية في "تويتر" ـدراسة في ضوء النقد الثقافيـ لنماذج مختارة من حساب "صغير العنزي"
- الصورة الشعرية في ديوان «أنت أبهى» للشاعر محمد الأمين محمد الهادي
- البنية السردية في قصيدة (مقيم وذاهب) لابن خفاجة
- تجليات الموقف النقدي في الخطاب الشعري عند أبي العلاء المعري، اللزوميات نموذجًا
- تداخل الأصوات في قصيدة اليوميات في الشعر العربي الحديث مقاربة أسلوبية
- توظيف القناع في القصة القصيرة جداً (ما لن تقوله شهرزاد) لفاطمة وهـيـدي أنموذجاً
- المقطع وطبيعته في الدَّرس العربيِّ قديمًا وحديثًا
- درجة معرفة وتوظيف معلمي الاجتماعيات لمبادئ النظرية البنائية
- درجة استخدام الحاسوب في التدريس بمدارس المرحلة الأساسية بالمهرة من وجهة نظر المعلمين واتجاهاتهم نحوه.

العدد الرابـــع عشـــر ـ ذو القعدة ١٤٤٤هـ يونيـو٢٠٢٣م

ISSN:2707- 8655
EISSN:2707-8663

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية

ISSN:2707- 8655
EISSN:2707-8663

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن كلية التربية - المهرة
تهتم بنشر الأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية
العدد الرابع عشر - يونيو- 2023م

حقوق الطبع محفوظة لمجلة المهرة للعلوم الإنسانية

ISSN:2707- 8655
EISSN:2707-8663

المشرف العام
د. عادل كرامة معيلي

رئيس التحرير
أ.د. محمد علي جبران

مدير التحرير
أ.د. أمين عبد الله اليزيدي

سكرتير التحرير
د. هلال محمد علي السفياني

التدقيق اللغوي
أ.د. عبدالكريم حسين علي رعدان

التدقيق باللغة الإنجليزية
د. فاطمة أحمد عبد الله باشراحيل

الهيئة العلمية والاستشارية للمجلة

م	الاسم	البلد	التخصص
1	أ.د. عبدالقادر رباعي	الأردن	أدب ونقد
2	أ.د. عبد الحميد سيف الحسامي	السعودية- الملك خالد	أدب ونقد حديث
3	أ.د. هادي سالم الصبان	اليمن- حضرموت	تربية رياضية
4	أ.د. عامر فائل محمد	عمان- جامعة الشرقية	لغة ونحو
5	أ.د. هيثم عبد الحميد خزنة	تركيا – جامعة إسطنبول صباح الدين زعيم	فقه وأصوله
6	أ.د. رياض فرج بن عبدات	اليمن- سيئون	فقه مقارن
7	أ.د. الخضر عبد الله حنشل	اليمن - عدن	حقوق
8	أ.د. أحمد صالح قطران	السعودية - الملك خالد	أصول فقه
9	أ.د. داوود عبد الملك الحدابي	ماليزيا- الجامعة الإسلامية	مناهج وطرائق التدريس
10	أ.د. شرف أحمد الشهاري	اليمن- الأندلس	أصول التربية
11	أ.د. محمد أحمد غالب العامري	اليمن- سبأ	أدب ونقد قديم
12	أ.د. عبد الكريم مصلح البحلة	اليمن- ذمار	لسانيات عربية
13	أ.د. حسن عبيد الفضلي	اليمن- حضرموت	لغة إنجليزية
14	أ.د. جهاد الغرام	كندا- Pearson Vue	الإعلام والعلوم السياسية
15	أ.د. سالم أحمد بافطوم	اليمن – جامعة المهرة	علم النفس التربوي
16	الهادي بن علي العيادي	تونس- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعي	اللغة العربية وحضارتها

الرقم المحلي للمجلة:
1564 للعام 2020م

الترقيم الدولي:
ISSN:2707-8655
EISSN: 2707-8663

إيميل : mjh@hu.edu.ye - **almahrajh@gmail.com**

تلفون- واتس: 00967713851060 - 00967774244170 – 00967772717308

ISSN:2707- 8655
EISSN:2707-8663

قواعد النشر:

تصدر مجلة (**المهرة**) **للعلوم الإنسانية** عن كلية التربية– المهرة– وفقًا للقواعد الآتية:

تطبع البحوث المرسلة وتقدم للنشر على برنامج (Microsoft Word) ويتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بأبعاد 2.5 من جميع الاتجاهات، وفقًا للآتي:

1. في البحوث المكتوبة باللغة العربية: خط (Arabic Transparent) بحجم (14) للمتن، و(12) للهوامش، وحجم (16) للعناوين الرئيسة و(14) للعناوين الفرعية بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (1.5)، وحجم الخط (12) عادي للجداول والأشكال.

2. في البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية: خط (Times New Roman) حجم (12) للمتن وبحجم (10) للهوامش، والعناوين الرئيسة بحجم (14) بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (1.5)، وحجم الخط (11) عادي للجداول والأشكال التوضيحية.

3. يسلم الباحث ملخصين للبحث: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما عن (200) كلمة، ويحتوي على كلمات مفتاحية لا تزيد عن ست كلمات، كما يحتوي على فحوى النتائج التي توصل إليها البحث.

4. تنشر المجلة مجانًا لأعضاء هيئة التدريس بالكلية، ويدفع الباحث من أعضاء هيئة التدريس بجامعة حضرموت (15000) خمسة عشر ألف ريال، فيما يدفع الباحث من داخل اليمن (25000) خمسة وعشرين ألف ريال، ويدفع الباحث من خارج اليمن (50) خمسين دولارا أمريكيا.

5. يفضل ألا تزيد صفحات البحث عن (25) صفحة، وفي حالة الزيادة يدفع ألف ريال يمني عن كل صفحة زائدة.

6. تسدد الرسوم على حساب المجلة رقم (254126515) في صرافة العمقي.

التوثيق:

يشار إلى المصادر والمراجع على هيئة هوامش مرقمة أسفل الصفحة، تعتمد فيها الأصول المتعارف عليها، وترتب المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع ألف بائيًا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقًا للآتي:

1. **البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات:** يكتب اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة، ''عنوان البحث،'' اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

2. **الكتب:** اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، عنوان الكتاب، اسم الناشر، سنة النشر.

3. **الرسائل العلمية:** اسم صاحب الرسالة بدءًا باسم العائلة، ''عنوان الرسالة،'' يذكر رسالة ماجستير أودكتوراه، اسم الجامعة، السنة.

4. **النشرات والإحصائيات الصادرة عن جهة رسمية:** اسم الجهة، عنوان التقرير، المدينة، أرقام الصفحات، سنة النشر.

5. **إذا كان المرجع موقعًا إلكترونيًا:** اسم المؤلف بدءًا باسم العائلة، عنوان الموضوع، سنة النشر، الرابط الالكتروني وتاريخ آخر زيارة للرابط.

6. **المستلات:** اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة، ''عنوان البحث،'' اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

7. **وقائع المؤتمر:** اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة، عنوان البحث، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

8. في حالة أن يكون التوثيق في المتن فيكون على النحوالآتي: (اللقب، عام النشر، الصفحة)

9. ترفق قائمة بالمصادر مرتبة هجائياً متضمنة المعلومات الأساسية: المؤلف، المرجع، تاريخ النشر، بلد النشر، رقم الطبعة.

يمنح الباحث نسخة من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح كاتبوالمناقشات والمراجعات والتقارير وملخصات الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

المرفقات المطلوبة مع البحث:

1. رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدَّد فيها التخصص الدقيق للبحث.

2. تعهد خطي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أولم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أوجزءًا من كتاب منشور.

3. نسخة من البحث بصيغة وورد وأخرى بصيغة بي دي إف.

4. سيرة ذاتية مختصرة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، ودرجته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقم هاتفه الثابت والنقال ورقم هاتف الواتس اب.

5. نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أوغيرها)، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أوفي ملاحقه.

مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد الرابع عشر- ذو القعدة 1444هـ- يونيو 2023م
ISSN:2707- 8655
EISSN:2707-8663

تجليات الموقف النقدي في الخطاب الشعري عند أبي العلاء المعري، اللزوميات نموذجًا

أيمن علي جاسر القبيسي (*)

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين المواقف النقدية عند أبي العلاء وخطابه الشعري، وكيف تشكلت هذه الرؤية النقدية في اللزوميات، وما مدى تمثلها شعريًا عند المعري.

لقد جمع المعري في مؤلفاته بين التأليف الأدبي شعرًا ونثرًا والممارسة النقدية، فجاءت نظراته النقدية وممارسته التطبيقية موزعة في مؤلفاته الأدبية، وفي شروحه لنصوصه ونصوص الشعراء الآخرين الذين تصدى لدراسة شعرهم وتحقيقه.

وصل الباحث في دراسته إلى نتائج يمكن أن تكون مدخلا لدراسات في فضاءات أرحب، ومن تلك النتائج أن خطاب اللزوميات جاء نتيجة لفكر نقدي امتد عبر كثير من المؤلفات الأدبية والنقدية، بعد أن مر بتحولات، وتعرض لمراجعات، كانت خلاصتها الوصول إلى هذا النموذج الشعري المختلف، فرؤية المعري لطبيعة الشعر، وموقفه من المتلقي، وتبنيه لدراسة الأسلوب، فضلًا عن موقفه الأخلاقي من الشعر وأنساقه ووظائفه، كل ذلك جاء ممثلًا في الخطاب الشعري للزوميات.

الكلمات المفتاحية: المعري، أبو العلاء، اللزوميات، لزوم ما لا يلزم.

Manifestations of Criticism in the Poetic Discourse of Abi Al-‘Alaa` Al-Ma’arry

Al-Luzuumiyyaat as a Case Study

Abstract

This research aims to study the relationship between Abi Al-‘Alaa` Al-Ma’arry’s critical attitudes and his poetic discourse, and the formation of this critical vision in his poetry collection (*Al-Luzuumiyyaat*) and the extent poetic representation of the poet. In his writings, Al-Ma’arry combined literary

(*)باحث في مرحلة الدكتوراه بجامعة الملك خالد.aaq1982@hotmail.com

composition in the form of poetry, prose, and critical practice. His critical views and applied practice were distributed in his literary writings, and in his annotations of his writings and the writings of other poets who he defied their poetry and achieved that.

In this study, the researcher reached results that can serve as an introduction to studies in broader realms, and among those results is that Al-Ma'arri's discourse in his poetry collection (*Al-Luzuumiyyaat*) is the outcome of critical thought that protracted in many of his literary and critical writings, after it has gone through transformations, and was subjected to reviews, and as a result, achieving this different poetic model. For Al-Ma'arri's vision of the nature of poetry, his attitude towards the recipient, and his adoption of the study of style, as well as his moral stance on poetry, its patterns, and its functions was depicted in the poetic discourse of (*Al-Luzuumiyyaat*).

Keywords: Al-Ma'arri; Abi Al-Ala; Alluzomiat; Luzoom maa laa yalzam.

مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين الرؤية النقدية والخطاب الشعري عند المعري، من خلال الوقوف على منهجه النقدي في مؤلفاته المختلفة، وتتبع أثر تلك المواقف ومدى حضورها في ديوانه "اللزوميات".

وقد كان اختيار اللزوميات بوصفها خلاصة التجربة الشعرية عند المعري، والنموذج المختلف في شعره، والكتاب الذي أثار جدلًا كبيرًا بين المعري ومؤيديه من جهة، وخصومه ومنتقديه من جهة أخرى.

إن اللزوميات لا تشكل تحولًا في خطاب أبي العلاء الأدبي فحسب، بل تتجاوزه لتمثل نقطة اختلاف في مدونة الشعر العربي القديم، في شكلها وموضوعها على حد سواء، وقد كانت وما تزال مثارًا للكثير من الجدل، ومحفزًا للعديد من الدراسات، وفي كل مرة تتعرض فيها للدراسة تتكشف فيها جوانب تثير الباحثين نحو مزيد من الدراسة والتحليل.

وبما أن المعري لم يكن شاعرًا فحسب، بل أديبًا وناقدًا على مستوى يمكّن من تصنيفه في كل مجال من تلك المجالات، فإن سؤال البحث الذي يسعى إلى مقاربته هنا هو: هل نجد في نقد المعري ما يفسر ذلك التحول الذي أنتج هذا الخطاب الشعري المختلف؟

على أن ما يمكن أن نستنتجه من هذا البحث لا يدفعنا إلى القول بضرورة تطابق الرؤية النقدية والإنتاج الأدبي عند الأديب الواحد مطلقًا، فالشعر له طبيعة تختلف عن طبيعة الممارسة النقدية، ولكننا إزاء خطاب يفترض البحث فيه درجة من الانسجام، كانت محفزًا لإثارة هذا السؤال، ومحاولة الوصول إلى مقاربة مقبولة علميًا، قد تكون مفتاحًا للدخول إلى خطاب المعري، الذي يصعب على كل باحث ادعاء الإحاطة به فهمًا وتفسيرًا، فهو كان وما يزال خطابًا مختلفًا منفتحًا على التأويل، قابلًا للقراءة من زوايا متعددة، وما العدد الكبير من الدراسات التي تناولته أو خُصصت لدراسة جزء منه إلا دليلًا على هذه القابلية، وذلك الاختلاف.

1- حد الشعر/ غياب القافية:

في سبيل الوصول إلى فهم لرؤية المعري النقدية كان أول لافت للانتباه هو تعريفه للشعر، فقد عرف أبو العلاء الشعر بقوله: "الشعر كلام موزون، تقبله الغريزة على شرائط"[(1)]، وإذا ما قارنا هذا التعريف بتعريفات الشعر المشهورة عند العرب – مثل تعريف قدامة بن جعفر: "الشعر كلام موزون مقفى، يدل على معنى"[(2)]– فإن أول ما يثير الأسئلة في تعريف أبي العلاء هو غياب القافية.

يمكن أن يُفسر إهمال أبي العلاء ذكر القافية في تعريفه تفسيرات كثيرة، أحدها أن إغفاله لها يدل على رؤية تجعل القافية جزءًا من البناء الصوتي المشترط في الشعر، الذي وصفه أبو العلاء بـ"الوزن"، وقد يفسر من جهة أخرى بأنه تمييز للشعر عن النثر المسجوع، الذي كان شائعًا في كتابات المعري وغيره من الكتاب في عصره.

أما الاحتمال الذي يتصل بمبحثنا – في العلاقة بين النقد واللزوميات– فهو أن القافية عند أبي العلاء ليست عنصرًا ثابتًا في الشعر كسائر العناصر الأخرى التي وردت في التعريف، وذلك يعني أن القافية عنده هي مجال من المجالات التي يمكن أن يطرأ عليها التغيير والتجديد، وبذلك تصبح

(1) رسالة الغفران: 251.
(2) نقد الشعر: 64.

القافية أحد عناصر الإبداع الأسلوبي عند الشاعر اختياريًا، وليست شرطًا ملزمًا يمكن تجاوزه عند تناول الإبداع الشعري بالنقد.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أن القافية جاءت عنوانًا لديوان اللزوميات، وذلك عبر إعلان عن شكل جديد في إعمالها شعريًا من خلال لزوم ما لا يلزم.

وقد خص أبو العلاء القافية بمقدمة طويلة في اللزوميات، بدأها بقوله: "وجمعت ذلك كله في كتاب لقّبته (لزوم ما لا يلزم). ومعنى هذا اللقب أن القافية تلزم لها لوازم لا يفتقر إليها حشو البيت. ولها أسماء تعرف، وسأذكر منها شيئًا، مخافة أن يقع هذا الكتاب إلى قليل المعرفة بتلك الأسماء"[1].

ثم بدأ بعد ذلك بعرض أحوال القافية، مستشهدًا بأبيات من الشعر في عصور مختلفة، مبينًا مدى حضور كل حال منها في أشعار العرب، موضحًا الغالب في الاستعمال، والنادر فيه، معلقًا بافتراضات حدوث مالم يجد له شاهدًا[2].

ومن الملفت للنظر في هذه المقدمة أن أبا العلاء بعد أن فصَّل الحديث عن القافية، ختم المقدمة باعتذار عن ما قد يجده القارئ من الضعف في هذا الديوان، ولكن هذا الضعف المحتمل لن يكون نتيجة لما تكلّفه الشاعر من لزوم ما لا يلزم من القوافي- وهذا هو المنتظر بعد عرض أحوال القوافي- بل إن الضعف مرده إلى موضوعات اللزوميات الشعرية وهي العظات والعبر والإيمانيات، يقول المعري: "وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك في هذا الأسلوب ضعُف ما ينطق به من النظام، لأنه يتوخى الصادقة، ويطلب من الكلام البرّة، ولذلك ضعُف كثير من شعر أمية بن أبي الصلت الثقفي ومن أخذ في فرّيه من أهل الإسلام..."[3].

ومما يمكن استنتاجه من هذا الاعتذار أن أبا العلاء يرى أن هذا الشكل المستحدث في بناء الديوان على أحرف الهجاء، وتكلف بناء القافية على لزوم ما لا يلزم لن يكون سببًا للضعف، بل هو شكل من الإبداع غير المسبوق أنتجته قدرة لغوية، وذاكرة شعرية، لا يمكن أن تضعُف أمام هذا

---

[1] شرح لزوم ما لايلزم لأبي العلاء المعري: 6.

[2] انظر: المرجع السابق: 6-50.

[3] شروح لزوم ما لا يلزم: 50.

التحدي. وكأنه يقول إن التفوق في هذا الجانب مسلّم به أما الضعف فهو نتيجة لضعف تلقّي الموضوع الشعري الذي ينحو إلى الأخلاق والقيم، ويبتعد عن المألوف من الشعر وأغراضه.

بناء على ما سبق، يمكن القول إن رؤية أبي العلاء النقدية المتعلقة بالقافية، جاءت ممثلة في ديوان اللزوميات، إذ ظلت في خطابه الشعري في هذا الديوان عنصرًا أسلوبيًا فنيًا، يتجاوز حدود الضرورة إلى الاختيار، فكان حضورها مختلفًا يجسّد تلك الرغبة التي عبّر عنها المعري في بيته المشهور:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل[1]

2- الموقف من المتلقي/ سلطة القارئ وسلطة المؤلف:

إذا أردنا تحديد موقف المعري من المتلقي فإن السبيل إلى ذلك يوجب النظر في خطابين متجاورين يكشفان عن تلك الرؤية النقدية؛ الأول: خطاب شروح المعري لأشعار غيره، والثاني: خطاب شروحه لأشعاره.

اعتنى المعري بشرح نصوصه والتعليق عليها، والدفاع عنها، كما اعتنى كذلك بشروح غيره من الشعراء ممن سبقوه وكانوا مثار جدل نقدي ألِفت في شأنه الكتب، وهم أبو تمام والبحتري والمتنبي. فأما شروحه لمتونه الشعرية فهي في المجمل تدور حول ديوانيه الشعريين اللذين يمثلان مرحلتين شعريتين مختلفتين؛ سقط الزند، ولزوم ما لا يلزم.

في الخطابين نجد من المشتركات ما يمكن من خلالها مقاربة موقف أبي العلاء المعري من المتلقي. وسيكون ذلك بالوقوف على عدد من المظاهر والنصوص التي تعين على ذلك الفهم، ويمكن أن نجملها في ثلاثة مظاهر: العنونة، والمقدمات، والشروح.

تثير ظاهرة العنونة عند المعري العديد من التساؤلات حول وظيفة العنوان في مؤلفاته، وقد اهتمت الدراسات النقدية الحديثة بالعنوان بوصفه نصًا موازيًا "يهيئ القارئ إلى ممارسة قرائية محددة، ويحد من امتداد التأويل، ويضيق مجال الاحتمالات الدلالية للنص"[2].

في شروح المعري لأبي تمام والبحتري والمتنبي يُظهر العنوان رغبة من المؤلف في توجيه القارئ نحو حكم مسبق على كل شاعر من هؤلاء، والعنوان عند المعري لا يحيل مباشرة إلى هذا التوجه، بل إنه

---

[1] شروح سقط الزند: 525.

[2] إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد: 732.

يستخدم حيلة لغوية صيغت بإحكام لتمنح العنوان بعدًا سيميائيًا يؤدي هذا الدور. ففي "ذكرى حبيب" الذي يشرح فيه المعري أبا تمام يمكن ملاحظة أن العنوان يحيل إلى موقف إيجابي من أبي تمام، فاستخدام كلمة (ذكرى) يعطي إيحاء بذلك الموقف خصوصًا حين قُرن بكلمة (حبيب) التي تعطي معنى أوليًا بأن المقصود هو حبيب بن أوس (وهو اسم أبي تمام)، ومن جهة أخرى تشير إلى موضوع الحب الذي يعني هنا الإعجاب بشعره، وهذا العنوان –كما هو معلوم– يتناص مع مطلع معلقة امرئ القيس " قفا نبك من ذكرى حبيب"، ما يعطي دلالة إضافية بالحزن على فقد شاعر كأبي تمام.

وعلى العكس مما سبق، نجد في عنوان شرح أبي العلاء لديوان البحتري علامة تكشف عن موقف سلبي من الشاعر، فقد جاء العنوان بهذه الصيغة "عبث الوليد"، وفي هذه التسمية "تعبير موحٍ واختيار لطيف، فيه من التورية ما يسمح بتناسل المعاني واطرادها، فالوليد هو اسم الشاعر أبي عبادة البحتري، كما يحيل في الوقت نفسه على تشاكل معنوي يراد به المولود والصبي على وجه الحقيقة. وانطلاقًا من هذا الفهم تكون العلاقة في عنوان أبي العلاء بين الوليد الذي يراد به البحتري، والوليد الذي يراد به الصبي علاقة شبهية وإيقونية"[(1)]، كل ذلك يمكننا من القول إن أبي العلاء اتخذ موقفًا سلبيًا من شعر البحتري دفعه إلى تسمية الكتاب بهذا الاسم، وأراد توجيه القارئ نحو هذا التوقع بأن ما سيقرؤه ما هو إلا عبث أشبه بعبث الصبي الصغير، إضافة إلى وصف هذا الشعر في الكلمة الأولى بـ"عبث" الذي يحيل على دلالة سلبية. على أن غاية الكتاب ليست نقد شعر البحتري، إذ نقرأ عند ابن العديم في وصف هذا الكتاب: "وكتاب تعلَّق بشعر أبي عبادة البحتري، يعرف بـ "عبث الوليد"، وكان سبب وضعه أن بعض الرؤساء، وهو أبو اليمن المسلم بن الحسن بن غياث الكاتب الحلبي النصراني، وكان صاحب الديوان بحلب، أنفذ إليه نسخة من شعر أبي عبادة البحتري، ليقابل له بها، فأثبت ما جرى من الغلط، ليعرض ذلك عليه، وبعض الغلط من الناسخ، وبعضه من البحتري"[(2)]، ويُفهم من هذا النص أن الغرض من الكتاب تصحيح نسخة من الديوان وليس نقده فنيًا.

أما شرحه للمتنبي فقد جاء بعنوان "معجز أحمد" منتهجًا الأسلوب نفسه في التورية واللغز، فقراءة هذا العنوان ممن لا يعرف الكتاب ستحيله إلى المعجزة النبوية، وهذا المعنى القريب، فاختيار

(1) النص وتفاعل المتلقي في أدب المعري: 83-84.

(2) تعريف القدماء بأبي العلاء: 541.

لفظة "معجز" وإضافتها إلى الاسم "أحمد"- وهو اسم المتنبي أحمد بن الحسين- و"أحمد" هو أحد أسماء النبي ﷺ تكشف عن موقف تمجيدي من المتنبي وشعره، فالكتاب جاء في مجمله مدافعًا عن المتنبي وقدرته الشعرية، ومقدمًا بعنوان يرفع مرتبة شعر المتنبي إلى مستوى الإعجاز. ويمكن للمقارنة بين اختيار العنوان في كل نموذج من الثلاثة المتنبي وأبي تمام والبحتري أن يعطي دلالة واضحة لموقف المعري من الجدل الذي دار حول ما يمثله البحتري من التزام بأصول الشعرية العربية الكلاسيكية، وما يمثله أبو تمام والمتنبي بعده من تجاوز لتلك الأصول. كما يمكن أن يفهم من تلك العنونة – فضلًا عن المتون التي سيأتي الحديث عنها- الرغبة في توجيه المتلقي نحو حكم مسبق على كل شاعر من هؤلاء الشعراء.

أما الظاهرة الأهم في خطاب أبي العلاء المعري فهي ظاهرة شروحه لمتونه الأدبية، وهي ظاهرة تستحق القراءة ومحاولة الفهم. وتثير سؤالًا حول وظيفة هذه الشروح وعلاقتها بهذا المبحث الذي يدرس الموقف من المتلقي.

قد لا نجد في أدباء العرب على مر العصور أديبًا اعتنى بشرح نصوصه كأبي العلاء، إذ لو سردنا قائمة بما ذكرته المصادر من آثاره لوجدنا أن كثيرًا من تلك المؤلفات يتبعه أبو العلاء بمؤلف شارح، يمكن أن نعده نصًا موازيًا للنص الأصلي.

المؤلفات الشارحة التي نقلتها لنا المصادر كثيرة، وقد تختلف من مصدر إلى آخر، ومن تلك المؤلفات: كتابي السادن وإقليد الغايات، وهما في شرح كتاب الفصول والغايات. وكتاب شرح خطبة الفصيح في شرح غريب كتاب خطبة الفصيح. وكتاب لسان الصاهل والشاحج في تفسير كتاب الصاهل والشاحج. وكتاب خادم الرسائل في تفسير ديوان الرسائل. وكتاب ضوء السقط في تفسر سقط الزند. أما اللزوميات فأتبعها بثلاثة كتب هي: راحلة اللزوم، وزجر النابح، ونجر الزجر[1].

إن مما يمكن فهمه من هذه الظاهرة أن أبا العلاء كان منذ بدء تجربته في الكتابة ينظر إلى المتلقي نظرة التجاهل والتجهيل؛ فأما التجاهل فيدل عليه أن النص الأول (النص الأصلي) لم يستحضر متلقيًا قادرًا على الوصول إلى دلالات مقبولة من النص، هذا الاعتقاد لدى المعري جعله

[1] انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي: 327-334.

يقدم على وضع شرح موازٍ للنص، يفسر ما يظن المؤلف أنه قد يشكل على المتلقي، وهذا تجهيل للمتلقي، وتأكيد لعدم قدرته على فك رموز النص، وفهمه بالمستوى الذي أراده له منشئه.

لقد أبان المعري من خلال تأويله لما أبدعه على حقيقة مفادها أن الذات القارئة التي قصدها بـ(نصه) حين الظهور الأولي، لم تكن قادرة على الاستجابة لأفق الأسئلة الكامنة (في النص)، إذ كان المعري يشكك في القدرات التأويلية والخلفية المرجعية التي اكتسبها ذلك القارئ المفترض[1].

تذهب بنا هذه القراءة إلى القول بأن النص الأصلي كُتب ليثبت عجز المتلقي، أما الشرح فكانت وظيفته توجيه المتلقي وتضييق مساحة العجز عنده، ليصل إلى المعنى الذي يريد له المؤلف أن يصل إليه.

يمكن القول إن المعري تحول إلى قارئ متحكم في قراءة ما أنشأه، فقد منح نفسه سلطة تفقد قراءة إبداعاته الحرية، ذات سنن ومضمون محددين سلفًا[2].

وقد نجد لهذ الموقف من المتلقي ما يؤكده في نصوص متفرقة من أدب المعري، فنجده تارة يشير إلى أن ما يقوله بوضوح هو من المحال، بعكس ما يقوله على وجه اليقين الذي يأتي همسًا:

إذا قلت المحال رفعت صوتي وإن قلت اليقين أطلت همسي[3]

والسؤال هنا هو: كيف سيميز قارئه المقاطع التي يرفع فيها صوته، وتلك التي يقنع فيها بالهمس؟[4]

والجواب سيكون بناء على ما تقدم: أن القارئ سيظل محتاجًا إلى المعري ليبين له مواضع الجهر والهمس.

وفي موضع آخر نجده يحيل القارئ إلى منطقة المجاز التي قد لا يدركها ولا يصل من خلالها إلى حقيقة ما يقصده المعري:

نقول على المجاز وقد علمنا بأن الأمر ليس كما نقول[1]

---

[1] المتلقي في أدب المعري: 101.

[2] نفسه: 101.

[3] اللزوميات: :2/ 45.

[4] أبو العلاء المعري أو متاهات القول: 49.

نجده كذلك يستعير من اللغة هذا التحذير لقارئه من اعتقاد الوصول إلى غاية القول ومقصده:

أَنا كَالحَرفِ لَيسَ يُنقَطُ وَاللَـ ـهُ حَسيبُ الجِهّالِ إِن نَقَطوني[2]

ينصح المعري قارئه في مواضع من شعره بالنظر إلى شعره من زاوية أنه ليس كما يظهر، وأنه محمول على المجاز:

لا تُقَيِّد عَلَيَّ لَفظي فَإِنّي مِثلُ غَيري تَكَلُّمي بِالمَجازِ[3]

وفي موضع آخر نجده يتظاهر بالجهل، وينكر على من يدّعي فهم قوله:

أَقَرَرتُ بِالجَهلِ وَادَّعى فَهَمي قَومٌ فَأَمري وَأَمرُهُم عَجَبُ[4]

وقد قدم المعري لقارئ شعره جوابًا مسبقًا لما يمكن أن تصل إليه قراءته فيقول: "والشعر للخلد مثل الصورة لليد، يمثل الصائغ ما لا حقيقة له، ويقول الخاطر ما لو طولب به لأنكره"[5].

وإذا وقع القارئ في خطأ القراءة، وفهم كلام المعري على ظاهره الذي ربما لا يجد فيه ما يدفع إلى البحث عن بواطنه؛ سيكون رد المعري عليه قاسيًا، وموظفًا لإثبات جهله.

ففي "زجر النابح" نقرأ أوصافًا لذلك القارئ الذي لم يلتزم بشرط المعري في قراءته، فجعل المعري ينظر إلى قراءته على أنها تتعدى الخطأ إلى سوء النية. ومن تلك الأوصاف: "الطاعن، والمتكلم، والمنكر، والمعترض، والمتحامل، والمتقول، والمبطل، والمموه، والمخترص، والمتسوق، والمتقرب بثلب البرآء، والعرّيض الكاذب، والملحد.."[6].

---

(1) اللزوميات::2/ 185.

(2) نفسه::2/ 396.

(3) نفسه::2/ 10.

(4) نفسه: :1/ 88.

(5) سقط الزند: 6.

(6) زجر النابح: من مقدمة المحقق: 18.

كل ما سبق يجعلنا نصل إلى فهم موقف المعري من المتلقي، الذي جعله المعري خصمًا يسعى لنزع سلطة التأويل والفهم من المؤلف. أما المؤلف فهو صاحب تلك السلطة، والقادر على توجيه القارئ نحو القراءة الصحيحة.

واجه المعري نصوصه من جهة، وواجه تأويلات المتلقين من جهة أخرى، في مقاومة واعية لتلك الطبيعة الشعرية التي تفتح أفق التأويل، فكان ذلك الأديب الذي وصفه (جادامير) في قوله: "ومن الظاهر أنه حتى الأديب الأكثر عداء لدعاوى التفسير لا يمكن أن يخفق في رؤية الصلة المشتركة بين التأليف والتفسير. وهذا الأمر يظل صادقًا حتى إذا كان واعيًا تمامًا بالطبيعة الإشكالية لكل تفسير، ولكل تفسير ذاتي بوجه خاص، ومعتقدًا- على اتفاق مع (أرنست ينجر) - بأن " أي شخص يقدم شرحًا على عمله إنما يحطّ من قدر نفسه"[1].

ما يسعى الباحث للوصول إليه هنا هو بيان أثر ذلك الموقف في تشكيل الخطاب الشعري في اللزوميات؛ فهل تطابقت رؤية المعري النقدية من المتلقي مع شعره في هذا الديوان؟

في تقديمه للديوان خصص المعري الجزء الأكبر منها للتعريف بالقوافي وأحوالها ونماذج من استعمال الشعراء لها. أما موضوع اللزوميات (الوعظ والتذكير) فلم يحظ إلا ببضعة أسطر، جاءت في بداية المقدمة وختامها.

وهنا لا بد من طرح هذا السؤال: لماذا خصص ثلاثين صفحة لمسائل عروضية (القوافي)، واكتفى بصفحتين للحديث عن موضوع الكتاب والنوع الذي ينتمي إليه، وكأن غرضه من تأليف اللزوم أن يمثل لمختلف أنواع القافية؟ إن التوسع في موضوع قد يكون الغرض منه الإغضاء عن موضوع آخر لا يود المتكلم أن يخوض فيه، فيسعى إلى صرف النظر عنه بالإسهاب في مسألة بعيدة عنه[2]. وذلك يمكن تفسيره برغبة لدى المعري بتوجيه المتلقي إلى قراءة محددة من جهة، والتعمية على موضوع اللزوم من جهة ثانية.

---

[1] جادامير: 165.

[2] أبو العلاء المعري أو متاهات القول: 44.

لقد كان المعري يدرك أن موضوع اللزوم سيحظى بالاستقبال والاهتمام أكثر من الشكل الذي لم يفلح في إنتاج أفق انتظار متحقق في القراءة، فاهتمام القراء انصب بالدرجة الأولى على المادة الفكرية وعلى القضايا العقائدية، أي على الأشياء التي مر عليها مرور الكرام في مقدمته[1].

بناء على ذلك، يمكن القول إن المعري حاول إغلاق باب التوقع لدى قارئ اللزوم منذ البداية، وذلك لغايات قد تكون إحداها جعل القارئ ينتظر ما سيكتبه المعري بعد هذا الديوان، من الشرح الذي سيوجه المتلقي إلى المعنى المنتظر من المؤلف.

لم تقف محاولة إخفاء الموضوع عند حدود المقدمة، بل تمددت إلى المتن، الذي يلاحظ فيه اعتماده على مزيد من الإغواء، وذلك من خلال ظواهر أسلوبية واستعمالات لغوية، لا يُتصور أن حضورها كان عرضًا لإمكانات لغوية أو تكلفًا لمجرد التكلف.

ومن ذلك الإحالات الكثيرة إلى الخارج، من خلال استعمال اللفظ الغريب أو نادر الاستعمال، والمصطلحات الخاصة بالعلوم المختلفة، وأسماء الأعلام، والأحداث التاريخية، وغير ذلك مما يضطر القارئ إلى البحث عن مدلولاتها وعلاقاتها بسياق النص الذي وضعت فيه، وفي عمله ذلك سيجد أنه لا سبيل إلى الوصول لمعنى نهائي يطمئن له القارئ وينسجم مع سياق النص. ومما يمكن اتخاذه مثالًا هنا هذا البيت، الذي نجده في أولى قصائد الديوان:

تواصل حبل النسل ما بين آدم وبيني فلم يوصل بلامي باء[2]

ومن الظواهر الأسلوبية التي وسمت اللزوميات، ظاهرة استعمال المشترك اللفظي، وهذا النوع من الاستعمال اللغوي يمكن أن يفهم بأنه محاولة لتسييج موضوع النص، وإبقاء سلطة تقرير المعنى المراد بيد المؤلف. فاللفظة التي تحمل دلالتين مختلفتين سيتجه القارئ نحو فهمها بالرجوع إلى المستعمل من استخدامها، وسيحيله ذلك إلى معنى قد لا يكون المقصود عند المؤلف، أو لنقل قد يرفض المؤلف هذا التأويل مستندًا إلى الدلالة الأخرى، وهذا النمط من الاختيار في توجيه اللفظ يختلف عن ما يسمى في البلاغة (التورية) – وقد كانت إحدى ظواهر الديوان– فالتورية تحيل إلى معنيين قريب وبعيد، ولكن المعنيين يظلان في حدود المقبول والمحتمل لدى القارئ، بعكس المشترك اللفظي الذي

(1) أبو العلاء المعري أو متاهات القول:44

(2) اللزوميات::1/ 34.

يحيل إلى معنيين أحدهما مستعمل وآخر مهجور، ويسمى عند بعض البلاغيين (الإيهام)، لأنه يوهم القارئ بمعنى ظاهر قريب ومقبول، ويخفي معنى آخر قد لا يمكن تبينه دون الرجوع إلى المؤلف والسؤال عن مقصده.

وقوله:

وَالمِصرُ آنَسُ مِنهُ خَرقُ مَفازَةٍ أَنَسَ الدَليلُ بِقافِها مَعَ طائِها[1]

وقوله:

وَجُبتُ سَرابِيّاً كَأَنَّ إِكامَهُ جِوارٍ وَلَكِن ما لَهُنَّ نُهودُ

تمجس حرباء الهجير وحوله رواهب خيط والنعام يهود[2]

وقوله:

فاحذر دعاء ظليم في نعامته فرب دعوة داعٍ تخرق الحجبا[3]

ومن الاستعمالات اللغوية الظاهرة في اللزوميات الجناس، وجاء غالبًا مبنيًا على المشاكلة بين الألفاظ الغريبة، أو المشتركة، وذلك مما يزيد الوصول إلى فهم النص صعوبة وكلفة.

ومثال ذلك قوله:

كَنائِنُ صِدقٍ كَثَّرَت عَدَدَ الفَتى فَهُنَّ بِحَقٍّ لِلسِهامِ كَنائِنُ [4]

وقوله:

سُرحوبُ عَمَّن سَرى لِلَّهِ مُبتَعَثاً وَجَناءَ في الكورِ أَو في السَرحِ سُرحوبا[5]

وقوله:

أَنتَ يا آدَمٌ آدَمُ السِربِ حَوّا وُكَ فيهِ حَوّاءُ أَو أَدماءُ

قَرَمَتنا الأَيّامُ هَل رَثَتِ النَحّ امَ لَمّا ثَوى بِها قَرماءُ [1]

---

[1] اللزوميات:1/ 58.

[2] نفسه:1/ 230.

[3] اللزوميات: 1/ 95.

[4] نفسه: 2/ 339.

[5] نفسه: 1/ 100.

لقد كان الغموض والإبهام الذي يصل إلى حد الإيهام حاضرًا في مواضع كثيرة من اللزوميات، ليس على مستوى الاستعمال اللغوي، والمكون البلاغي فحسب، بل نجده كذلك في عناصر أخرى، مثل أسماء الأعلام التي كان حضورها في مواضع من الديوان مشكلًا على الفهم. ومن الأمثلة على ذلك:

نَجى المَعاشِرَ مِن بَراثِنَ صالِحٍ رَبٌّ يُفَرِّجُ كُلَّ أَمرٍ مُعضِلِ
ما كان لي فيها جناح بعوضة والله ألبسهم جناح تفضل[2]

ومثل ذلك قوله:

زوجة إبراهيم سارت إلى مقام إبراهيم في نذرها
عصته في ذاك ولم تعتذر وجرمها أيسر من عذرها
تهذر في النسك وأوصافه وصمتها أبلغ من هذرها[3]

ففي الأبيات السابقة سيسأل القارئ النصين عن الاسمين (صالح) و(إبراهيم)، ولن يجد فيهما جوابًا، فيلجأ إلى التأويل كما حدث مع النص الثاني، وسيقول إن المعري كان يقصد نبي الله إبراهيم عليه السلام وزوجه، وسينتج عن مثل هذا التأويل اتهام المعري في دينه، ما يضطره إلى الدفاع عن نفسه، متسلحًا بسلطة المؤلف الذي يملك المعنى النهائي، وذلك ما وقع فعلًا في كتابه "زجر النابح"[4].

إن منتج النص الشعري يسعى غالبًا لبيان معنى نصه مستحضرًا قارئًا ضمنيًا يتوجه إليه بالكلام، ولكن الشعر بطبيعته يضع عقبات أمام الشاعر تمنعه من بلوغ هذه الغاية، فالإيقاع الشعري الذي تمثله القافية والوزن، واللغة الشعرية القائمة على التخييل والانحرافات، والاستعمال الرمزي للغة؛ فضلًا عن طبيعة القارئ الحقيقي للنص ومرجعياته الثقافية، كل ذلك يجعل الوصول إلى المعنى الواحد

(1) اللزوميات: 1/ 48.
(2) نفسه: 2/ 242.
(3) اللزوميات:1/ 426.
(4) انظر: زجر النابح: 160.

الذي قصده الشاعر أمرًا يصعب التحقق منه، فكل تلك المعوقات ستجعل النص الشعري منفتحًا على التأويل قابلًا للقراءة المتعددة[1].

ولكننا في حال المعري أمام نموذج مختلف، لم يكتفِ بتلك المعوقات، بل أضاف إليها الكثير من العقد التي يصعب حلها، وذلك لم يكن اضطرارًا، بل كان اختيارًا من الشاعر، واعتمادًا على ذخيرة لغوية وأدبية مكنته من ذلك، لذلك فإن ما يذهب إليه الباحث أن المعري في لزومياته سعى إلى تضييق مجال القراءة على المتلقي، في محاولة لإبقاء سلطة المعنى بيد المؤلف، وإحالة "القارئ إلى مجهول لا يمكن الإحاطة به إلا بعد بيانه"[2]، ولكن تلك المحاولة لم تنجح؛ فالديوان حظي بقراءات واسعة، من أطياف متعددة من القراء، وتلك القراءات كانت سببًا في تشكيل الصورة النمطية للمعري.

بناء على ما سبق، يمكن القول إن المعري في نص اللزوميات وما تلاه من تعقيبات وشروح قد بنى هذا الخطاب الأدبي ليحقق غايات مختلفة، منها وظيفة الإخفاء أو التمويه، التي جاءت بوصفها إحدى الوظائف التي يحتملها خطاب لزوم ما لا يلزم في الأدب عمومًا[3]، ذلك فضلًا عن ما أضافه المعري من الشروح والتعليقات، التي دعمت هذه الوظيفة وأكدتها.

3- المذهب الشعري/ الدراية والأسلوب:

على الرغم مما وجده ديوان لزوم ما لا يلزم من العناية والاهتمام، وعلى الرغم مما أثاره من القضايا الفنية والفكرية، فإن إعادة النظر في تجربة المعري الأولى الممثلة في ديوان "سقط الزند" مهمة، من أجل الوصول إلى فهم التحول في المسار الشعري عند المعري.

في مقدمة الديوان، وفي كلام شراح المعري، ما يشير إلى أن ديوان "سقط الزند" التجربة الشعرية الأولى للمعري، وأن ما انطوى عليه من القصائد هي مجموع ما قاله من الشعر في مرحلة مبكرة من العمر، ففي المقدمة -التي يظهر أنها كتبت في زمن متأخر عن كتابة القصائد- يقول المعري: "وقد كنت في ربان الحداثة، وجن النشاط، مائلاً في صفو القريض، أعتده بعض مآثر الأديب، ومن أشرف

[1] النص وإشكالية المعنى بين الشاعر والقارئ: 548-551.

[2] الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره: 910.

[3] انظر: الإبداع ولزوم ما لا يلزم في الأدب: 287.

مراتب البليغ، ثم رفضته رفض السقب غرسه، والرئل تريكته؛ رغبة عن أدب معظم جيده كذب، ورديئه ينقص ويجدب... لم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد، ولا مدحت طلباً للثواب، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس"[1]. وفي مقدمة شرحه للسقط يقول التبريزي عن سبب تسمية الديوان بـ(سقط الزند):"وكان قد لقب هذا الديوان بـ(سقط الزند) لأن السقط أول ما يخرج من النار من الزند، وهذا أول شعره وما سمح به خاطره، فشبهه به"[2].

في النص السابق من مقدمة أبي العلاء؛ نقرأ اعتذارًا من المعري عن ظاهر قصائد الديوان، وعن غاياتها في الوقت نفسه. فأما ظاهرها فهو الأسلوب التقليدي الذي اعتمده المعري، في اتباع الشعراء الذين نالوا مراتب الشرف في البلاغة والأدب، وأما غاياته فيؤكد المعري أنها لم تكن لطلب الثواب من الممدوحين، وإنما كانت لغرض التعلم والممارسة، وصقل التجربة الشعرية، التي كانت لما تزل في ربان الحداثة وجن النشاط.

ولكن كيف جاءت قصائد الديوان أسلوبًا وموضوعًا؟ وما الذي اعتذر المعري عن وروده على وجه التحديد؟

يتمحور كلام المعري في مقدمتي السقط واللزوم حول رفض "الكذب" الذي يسميه في مواضع كثيرة من كتاباته (المين)، والكذب عنده ركيزة من ركائز الشعر عند من سبقه من الشعراء، الذين وجد أنه قد وقع فيما وقعوا فيه في ديوانه "السقط". ومصدر هذا الكذب في المكونين الرئيسين في الشعر؛ الغرض والأسلوب.

"التقليد في شعر هذه المرحلة (الحداثة) ظاهر، والحرص على المحاكاة واضح، والكلف بإظهار التفوق والنبوغ يعلن نفسه إلى الناس"[3]، لذلك كان المعري في سقطه قريبًا في موضوعاته وأسلوبه من الشعراء الذين سبقوه، وعلى رأس هؤلاء أبو تمام والمتنبي، ولعل نظرة في أشهر قصيدة في الديوان تكشف عن هذا التأثر:

---

[1] سقط الزند: 5-6.

[2] شروح سقط الزند: 3.

[3] تجديد ذكرى أبي العلاء: 195.

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وصبر ونائل[1]

ولن يجد القارئ في هذا البيت، وفيما جاء بعده من الأبيات، وفي قصائد كثيرة في الديوان، سوى صورة أخرى للمتنبي، ولشعراء آخرين من شعراء العرب الذين سبقوا أبا العلاء في نيل حظ من شرف البلاغة، الذي تحدث عنه في النص السابق من المقدمة.

يقول التبريزي واصفًا المعري في سقطه: "وشعره كثير في كل فن، وميل الناس على طبقاتهم: من شاعر مفلق، وكاتب بليغ، إلى هذا الفن أكثر، ورغبتهم فيه أصدق. وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه؛ لأنه سلك فيه طريقة حبيب بن أوس الطائي، وأبي الطيب المتنبي، وهما هما في جزالة اللفظ، وحسن المعنى"[2].

مما يجدر الوقوف عنده في وصف التبريزي- فضلًا عن تأكيده لتأثر المعري في السقط بأبي تمام والمتنبي- قوله: "وميل الناس.. إلى هذا الفن أكثر، ورغبتهم فيه أصدق"، فالتبريزي يبين ما يمكن أن يكون أحد أسباب عدم قدرة المعري على تجاوز السقط، وإسقاطه، أو إهماله، في تجربته الشعرية.

هذا هو الشعر الذي وصف المعري رفضه له بقوله:" ثم رفضته رفض السقب غرسه، والرئل تريكته..." أي كولد الناقة الذي يرفض الجلدة الرقيقة المحيطة به، أو كولد النعامة الذي يرفض الغشاء الذي يلفه." لكن الجلدة المطروحة ما زالت موجودة ماثلة للعيان، وكذلك قشرة البيضة، فرغم إنكاره لما صاغه من شعر؛ فإنه يعلم أنه شاع في الناس، وأن لا سبيل إلى الإعراض عنه ومحوه ونسيانه"[3]، إلا أن يصوغ شعرًا يمكنه أن يحل محله في الذاكرة، على ألا يرتبط معه بصلة أسلوبية أو موضوعية، وأن يكون مثيرًا إلى الحد الذي يمكنه أن يشغل الناس عن ذكر ذلك الشعر السابق.

يبرر المعري تلك الرغبة في التحول بالرغبة في البعد عن الكذب، الذي يأتي الفخر بالذات بوصفه أحد موضوعاته وعلاماته. يقول التبريزي في وصف موقف المعري من شعره في السقط: "كنت أراه يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه، أعني "سقط الزند"، وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه، إذا

---

(1) سقط الزند: 193.

(2) شروح سقط الزند: 4.

(3) أبو العلاء المعري أو متاهات القول: 40.

قرئت عليه، ويقول معتذرًا من تأبيه وامتناعه من سماع هذا الديوان: مدحت نفسي فيه فلا أشتهي سماعه"[1].

ولكن السؤال الذي يمكن طرحه هنا هو: إلى أي حد يمكن أن نجد في نصوصه النقدية ما يجعل هذا المبرر مقبولًا، وهل من سبيل إلى قراءة أخرى لهذه الرغبة؟

نقرأ في رسالة الغفران هذا النص: "وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق، ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينًا، وإنما يجعل ذلك تزينًا، يريد أن يصل به إلى فناء أو غرض من أغراض الخالبة أم الفناء... والشعراء مطلق لهم ذلك"[2].

وفي مقدمة ديوان السقط يقول المعري: "والشعر للخلد مثل الصورة لليد يمثّل الصانع ما لا حقيقة له، ويقول الخاطر ما لو طولب به لأنكره"[3].

أما في مقدمة اللزوم فيقول: "وقد وجدنا شعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونعوت الخيل والإبل، وأوصاف الخمر، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب، واحتلبوا أخلاف الفكر وهم أهل مقام وخفض في معنى ما يدعون أنهم يعانون، من حث الركائب، وقطع المفاوز، ومراس الشقاء"[4].

يمكن أن نفهم من النصوص السابقة موقف المعري من الكذب الذي يتمثل في الشعر في مكوني الغرض (الموضوع)، والأسلوب التخييل والمبالغة. وهو موقف أقرب إلى التبرير منه إلى الرفض المطلق (العالم مجبول على الكذب)، (الشعراء مطلق لهم ذلك)، (يقول الخاطر ما لو طولب به لأنكره)، (توصلوا إلى تحسين المنطق).

ومثل هذا الموقف يمكن تبينه في نقد المعري من خلال شروحه للشعراء الذين شرح دواوينهم (أبو تمام والمتنبي والبحتري)، حيث لا نجد للمعري موقفًا رافضًا لما يراه من الكذب والمبالغة في

---

(1) شروح سقط الزند: 3.
(2) رسالة الغفران: 416.
(3) سقط الزند: 6.
(4) شرح لزوم ما لا يلزم: 49.

شعرهم، بل كان يبحث لما يجده من الأبيات المشكلة تأويلًا يخرجها من الفهم للظاهر الذي قد يصل إلى حد تكفير الشاعر، ومن ذلك شرحه لبيت المتنبي:

أنا مبصر وأظن أني نائم من كان يحلم بالإله فأحلما

ففي شرحه لهذا البيت عرض المعري ما يصل إليه الفهم القريب من القرب من الكفر، فقال: "فشبه الممدوح بما لا يجوز التشبيه به...وهذا إفراط منكر قريب من الكفر" ثم أكمل الشرح بقوله: "وقيل إن في الكلام حذفًا، كأنه قال: من كان يحلم بصنع الله فأحلم أنا، فكأنه يقول: من كان يحلم بصنع الله تعالى وينسب نفسه إلى النوم دون اليقظة عند عظمته حتى أقول: أنا إنما أرى ذلك في المنام"[(1)].

لم يكن هذا الموقف الأخلاقي من المبالغة والكذب حاضرًا بوضوح في نقد المعري وقراءاته لشعر الشعراء الآخرين، وذلك ما يجعلنا نبحث في خطابه النقدي عن تفسير آخر لذلك التحول، الذي وصل به إلى اللزوميات، بعيدًا عما يحاول المعري إقناع قارئه به، أعني تحري الصدق والبعد عن الكذب والمبالغة.

يبين المعري منهجه النقدي في شروحه للشعراء الثلاثة (أبو تمام والبحتري والمتنبي) في قوله: "إن أردت الدراية فخذ عني ولا تتعد، وإن قصدت الرواية فعليك بما عند غيري"[(2)].

إنه يقابل في هذا النص بين (الدراية) وهي منهجه الذي اعتمده في نقده، والرواية وهي طريقة غيره من النقاد.

والدراية كما يفهم من قوله ومما نجده في قراءتنا لما كتبه من الشروح والنقد هي ما يمكن أن نسميه المعرفة النصية، أو معرفة النص، التي تقابل هنا المعرفة التاريخية، أو معرفة تاريخ النص.

والمعرفة التي يريدها هنا تتحقق بدراسة النص في علاقته بالنصوص الأخرى في خطاب الشاعر، لتحقق للناقد الخبرة والدراية بالأساليب المختلفة، وطرق التأليف، أو ما يسميه المعري في أكثر من موضع بالمذهب.

---

(1) شرح ديوان المتنبي: 175.

(2) تعريف القدماء بأبي العلاء: 51.

يتكرر مفهوم (المذهب) كثيرًا في نقد المعري، وهو يمثل في خطابه النقدي أداة فاعلة للتحقيق وحسم الجدل حول ما استحسن من الشاعر وما أُخذ عليه. ومن ذلك ما نجده في شرحه لأحد الأبيات المشكلة عند أبي تمام: "قول حسن، وهو يشبه مذهب أبي تمام في الصنعة"[1].

وفي ترجيحه لرواية بيت أبي تمام:

بِكُلِّ فَتىً ضَربٍ يُعَرِّضُ لِلقَنا مُحَيّاً مُحَلّىً حَليُهُ الطَعنُ وَالضَربُ

يقول المعري: "والأشبه بصناعة الطائي أن يكون (فتى) منونًا"[2].

وبمثل هذه الدراية بالأسلوب واجه المعري شعر البحتري، فنقده في مواضع كثيرة مستندًا إلى مرجعية المعرفة بأسلوبه، ومن ذلك قوله في هذا البيت للبحتري:

وَفيها ما تَرُدُّ بِهِ الـ ـظَماءَ وَتُذهِبُ السَغَبا

"مدّ الظمأ وذلك رديء، وهو كثير الجرأة على مثل هذه الأشياء"[3].

وتتكرر مثل هذه الإحالة إلى المذهب (الأسلوب) في شرح المعري للبحتري، موظفًا إياها في نقد شعره، الذي يظهر أنه كان يراه محل النقد، على الرغم من ورودها في سياق تحقيق ديوان البحتري. وأمثلة ذلك كثيرة، ومنها قوله: "على أن هذه الأبيات بعيدة من نمط أبي عبادة"[4]، وقوله: "وهذا أشبه بأبي عبادة"[5]، وقوله "ولا يشبه مذهب أبي عبادة"[6] وقوله "وهو أشبه بمذهب الشاعر"[7]، وقوله "فقد جرت عادة أبي عبادة"[8]، وقوله في ظواهر رأى أنها تتكرر في شعر البحتري:

(1) ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي: 27.
(2) نفسه: 192.
(3) عبث الوليد: 87
(4) نفسه: 97.
(5) نفسه: 107.
(6) نفسه: 188.
(7) نفسه: 108.
(8) نفسه: 196.

البحتري: "وقد جاء بمثل هذا كثيرًا"[1]، وقوله "وقد استعمل أبو عبادة هذا الزحاف كثيرًا"[2] وقوله " وقد تردد مثله في شعره كثيرًا"[3].

وإذا وضعنا هذه العناية بدراسة الأسلوب، وجعله أساسًا لدراسة الشعراء الثلاثة- الذين يمثل كل واحد منهم مذهبًا أسلوبيًا مختلفًا- في سياق النتاج الأدبي والنقدي للمعري؛ فإن مفارقة ستظهر في كون هذه البصمة الأسلوبية لا نجدها في شعر المعري قبل اللزوميات (ديوان سقط الزند). وهذا مدخل مهم يمكن أن نفهم من خلاله التحول الشعري عند المعري في ديوانه اللزوميات.

فالأسلوب الذي اتخذه المعري معيارًا نقديًا لنقد الشعر وتحقيقه كان يُنتظر أن يجد له مكانًا في نتاجه الأدبي، وقد تحقق له ذلك على المستويين النقدي والأدبي النثري؛ فعلى المستوى النقدي استطاع المعري التخلص من قيود الرواية في تحقيق الشعر ونقده، فكان المعيار الأسلوبي اللغوي الناتج عن الخبرة والدراية هو المقياس المعتمد عنده، وبذلك أسس المعري لمذهبه النقدي وتحرر من سلطة الخطاب النقدي الذي فرض معاييره على الدرس النقدي القديم.

أما على المستوى الأدبي النثري فقد قدم المعري نموذجًا فريدًا في الكتابة النثرية، نموذج تمثله "رسالة الغفران" التي قال عنها العقاد: "إن رسالة الغفران نمط وحدها في آدابنا العربية، وأسلوب شائق ونسق طريف في النقد والرواية، وفكرة لبقة لا نعلم أن أحدًا سبق المعري إليها"[4].

وبذلك كان الشعر الحلقة الناقصة في إبداع المعري، الذي لم يعرف له منه قبل اللزوميات سوى "سقط الزند"، وهو منجز شعري-كما سبق أن بيّن البحث- لم يحقق للمعري التفرد، ولم يظهر فيه أبو العلاء صاحب مذهب شعري مميز، بل إن من يقرأ السقط لا يرى سوى شاعر "أعجب بالمتنبي فسلك طريقه وبرز فيه"[5]، وذلك مما يمكن أن يفسر رفض المعري للسقط، ثم رفضه للشعر في صورته صورته القديمة موضوعًا وأسلوبًا.

---

[1] عبث الوليد: 146.

[2] نفسه: 126.

[3] نفسه: 92.

[4] مطالعات في الكتب والحياة: 86.

[5] مقدمة تحقيق شرح اللزوميات: 3.

ونتيجة لما سبق، جاءت اللزوميات لتحقق للمعري ما يمنح خطابيه الأدبي والنقدي الانسجام، فاللزوميات هي النموذج الأكثر تعبيرًا عن ذلك الاتجاه نحو التجديد والحداثة والتفرد، وإذا كانت رسالة الغفران – بحسب العقاد- فكرة لم يُسبق المعري إليها؛ فإن اللزوميات كانت كذلك فكرة جديدة في مجال الشعر لم يسبق إليها، فالمعري لم يكتفِ بأن خرج عن المألوف بلزومه ما لا يلزم في القوافي، وبترتيبه لها ترتيبا هجائيًا، ولا بتخصيص ديوان لهذا الشكل الشعري فحسب، بل إنه "أحدث فنًا في الشعر، لم يعرفه الناس من قبل، وهو الشعر الفلسفي الذي وضع فيه كتاب اللزوميات"[1].

المصادر والمراجع:

أبو تمام، حبيب بن أوس، ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق مُحَمَّد عبده عزام، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.

ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق مُحَمَّد عبدالمنعم خفاجي، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون طبعة، بدون تاريخ.

الجندي، مُحَمَّد سليم، الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره، بيروت، دار صار، الطبعة الثانية، 1992م.

حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1958م.

حمدوش، علي، المتلقي في أدب المعري، رسالة دكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2011م.

السقا، مصطفى، ومحمود، عبدالرحيم، وهارون، عبدالسلام، وعبدالمجيد، حامد، تعريف القدماء بأبي العلاء، إشراف طه حسين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، بدون طبعة، 1965م.

سمير، حميد، النص وتفاعل المتلقي في أدب المعري، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005م.

عبدالعظيم، مُحَمَّد، الإبداع ولزوم ما لا يلزم في الأدب، بيروت، دار الفارابي، الطبعة الأولى، 2008م.

العجلان، سامي، إغواء العتبة: عنوان القصيدة وأسئلة النقد، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى، 2015م.

[1] تجديد ذكرى أبي العلاء:225.

العضيبي، عبدالله، النص وإشكالية المعنى بين الشاعر والقارئ، مكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الجزء:18، العدد: 30، 1425هـ.

العقاد، عباس محمود، مطالعات في الكتب والحياة، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1987م.

كيليطو، عبدالفتاح، أبو العلاء المعري أو متاهات القول، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، 2000م.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن حسين، ديوانه، شرح أبي العلاء المعري، تحقيق عبدالمجيد دياب، القاهرة، دار المعارف، بدون طبعة، 1992م.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، اللزوميات، تحقيق أمين الخانجي، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون طبعة، بدون تاريخ.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، تحقيق عائشة عبدالرحمن، القاهرة، دار المعارف، الطبعة التاسعة، بدون تاريخ.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، زجر النابح، تحقيق أمجد الطرابلسي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة الهاشمية، بدون طبعة، 1956م.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، سقط الزند، بيروت، دار صادر، بدون طبعة، 1957م.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، شرح اللزوميات، تحقيق مجموعة من المحققين، تقديم وإشراف حسين نصار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون طبعة، بدون تاريخ.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، شرح لزوم ما لايلزم لأبي العلاء المعري، تحقيق طه حسين وإبراهيم الإبياري، القاهرة، دار المعارف، بدون طبعة، بدون تاريخ.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، شروح سقط الزند، تحقيق مجموعة من المحققين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، 1986م.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، عبث الوليد، تحقيق نادية علي الدولة، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة القاهرة، 1976م.

Hadhramount University

ISSN : 2707 - 86655
EISSN : 2707 - 8663

AL-MAHRAH

Journal of Humanities

Scientific, Biannual & Refereed
Issued by the Faculty
of Education - Almahrah

- Al-Tibyaan bimaa Yata'allaq bi Mi'yaar Al-Mizaan by Shihaab Al-Deen Al-Tanbadaawi Al-Zubeidy (948 AH) An Empirical Study
- The Language of Omani People in the Quran and its Impact on the Verse Meaning
- Structures of the Un-Augmented Past Tense in Abdullah Al-Baradouni's Poetry Collection (Madinat Al-Ghad) A Morphological Aesthetic Study
- The Narrative Paradox in Ghazi Al-Qusaibi Novels A Semiotic Approach
- Clash of Identities in Contemporary Omani Novels "Sajeen Al-Zurqah" Novel as an Example
- Cultural Patterns on Twitter A Study in Light of Cultural Criticism of Selected Samples from Sagheeer Al-'Anzy's Account
- The Poetic Imagery in Muhammmad Al-Ameen Muhammad Al-Haadi's Poetry Collection "Anta Abha"
- Narration Structure in (MOQEEM WA DHAHEB) Poem for IBIN KHAFAJAH
- Manifestations of Criticism in the Poetic Discourse of Abi Al-'Alaa` Al-Ma'arry Al-Luzuumiyyaat as a Case Study
- Sound Intertwinement in the Poem Al-Youmiyyaat of the Modern Arabic Poetry A Stylistic Approach
- Employment of Persona in Very Short Stories Fatimah Waheedi's Short Story (Maa Lan Taquuluhu Shehrazad) as a Case Study
- Syllables and their Nature in Early and Modern Arabic Studies
- Degree of Knowledge and Utilization of the Principles of Constructivist Theory by Social Studies Teachers
- The degree of computer use in teaching in primary schools in Al-Mahra from teachers' point of view and their attitudes towards it.

AD 2023 AH June 1444 The fourteenth issue - Dhul Qi'dah